

## إشكالية تربية الأبناء وعلاقتها بمقاييس التكافؤ والتكامل بين الزوجين في ظل مختلف تغيرات المجتمع الجزائري

د/ عياشي صباح، أستاذة علم الاجتماع، جامعة الجزائر.

ملخص:

تناول هذه المدخلة موضوعا جديدا يعكس اهتمامنا الشديد ببنية الأسرة المتكونة أساسا من الزوجين ووالديهما وأبنائهما، كما تهتم بالبحث عن أهم الميكانيزمات لتحقيق استقرار أفرادها النفسي والاجتماعي الذي تحكمه عدّة عوامل ومؤشرات: - داخلية مرتبطة بطبيعة مقاييس التكافؤ والتكامل التي يتم على أساسها تثبيت العلاقة الزوجية من جهة، ودورها في تربية وتوجيه الطفل والمراهق من جهة أخرى - وخارجية تختص إلى حد ما إلى مدى تكيف الأسرة مع ما عرفته البلاد أو ما تعرفه من تغير سوسيو- اقتصادي (الظروف المعيشية والسكنية خاصة)، وتغير سياسي-أمني، وتكنولوجي وثقافي بمعناه الواسع.

إن دراسة موضوع التربية وتواصل الأداء التربوي في ظل مختلف التغيرات المعاصرة والصعوبات، يطرح عدّة إشكاليات سوسولوجية في مجتمعنا الجزائري، حاولنا الإجابة عنها في جزء من بحثنا الواسع والكبير لإعداد أطروحة دكتوراه دولة حول الاستقرار الأسري، حيث قمنا بالتحليل الموضوعي والإحصائي باستعمال 216 في عينة متنوعة ممثلة للمجتمع الجزائري تتكون من 826 زوج وزوجة أي 404 من الأزواج و422 زوجات، كما بلغ عدد الأسر 413 شملت مختلف مناطق (ولايات) الجزائر: الصحراوية\_ الجبلية\_ الهضاب العليا\_ الساحلية، في المدن والأرياف. أما بالنسبة للولايات التي كانت تحت الدراسة فهي كالتالي: تمنراست (المقار)، غرداية، الجلفة، الوادي، بسكرة، عنابة، قسنطينة، باتنة، تيزي وزو، العاصمة، البليدة، وهران، مستغانم، تلمسان.

ومن التساؤلات الهامة التي طرحناها: هل الظروف المعيشية والسكنية تؤثر على تربية الأبناء؟، ماهي المرجعية أو المرجعيات التي تستند عليها الأسرة في أدائها التربوي؟ كيف تستطيع الأسرة أن تحافظ على القيم التي تبنتها في تربيتها أمام التقدم التكنولوجي السريع وإفرازات العولمة، وما يحمله من قيم أصبحت بمثابة مرجعيات ثقافية أخرى أو بديلة عن المرجعية الأولى الأم عند بعض المجموعات. تظهر خاصة في الثورة التكنولوجية الهائلة لوسائل الإعلام والاتصال من: - تعدد للقنوات الفضائية التي غزت البيوت بمختلف برامجها وتعدد قيمها وتناقضها فيما بينها (قنوات فضائية أوروبية، عربية، إسلامية)، تؤثر بالصورة والصوت والألوان وبطريقة مباشرة وغير مباشرة على سلوك المشاهد

خاصة الأطفال والمراهقين والمراهقات سواء في طريقة التفكير، اللباس، تسريحة الشعر، الترفيه، التفاوت الكبير في تحديد الضوابط في العلاقة بين الجنسين من الغلو في التقييد إلى الإباحية، النزعة الفر دانية والتغير في والسلوكات والمراتب لأفراد الأسرة الواحدة وحدود الحرية الممنوحة لكل فرد في علاقاته داخل وخارج الأسرة... إلخ من النماذج السلوكية المتبناة.

## Résumé :

**Notre communication sera axée sur un sujet nouveau reflétant notre profond intérêt pour l'étude de la structure de la famille composée des deux époux, de leurs parents respectifs et de leurs enfants, comme elle s'appliquera à analyser les principaux mécanismes permettant de maintenir la stabilité des membres de la famille aux niveaux psychologique et social et visera à en identifier les différents facteurs et indicateurs : internes, reliés à la nature des critères d'homogamie et de complémentarité permettant d'assurer la stabilité des relations conjugales d'un côté, et extérieurs qui déterminent partiellement le degré d'adaptation de la famille aux changements qu'a connus le pays aux niveaux: socio-économique (en particulier des conditions de vie et d'habitat), ainsi qu'un changement politique et sécuritaire, technologique et culturel (au sens large) de l'autre.**

**Nous avons procédé à l'étude objective et l'analyse statistique ( avec application de la technique du K2 ) d'un échantillon varié représentatif de la population algérienne composé de 826 couples ( répartis entre 404 époux et 422 épouses ) soit 413 familles .L'étude englobe les différentes régions de l'Algérie : sahariennes , montagneuses, les hauts plateaux, les zones côtières, les villes et campagnes et inclue les wilayas suivantes :Tamanrasset (le Hoggar), Ghardaïa, Djelfa, El Oued, Biskra, Annaba, Constantine, Batna, Tizi Ouzou, Alger, Blida, Oran, Mostaganem, Tlemcen.**

**Parmi les questions importantes que nous nous sommes posées : les conditions de vie et de logement affectent-elles l'éducation des enfants, quelles sont les références ou les références dont dépend la famille dans ses performances éducatives ? Comment la famille peut-elle préserver les valeurs qu'elle a adoptées dans son éducation face aux progrès technologiques rapides et à la mondialisation, et les valeurs qu'elles portent sont devenues d'autres références culturelles ou alternatives à la première référence parentale pour certains groupes. Surtout dans l'immense révolution technologique des médias et de la communication, elle s'épure de : chaînes), affectant l'image, le son et les couleurs, directement et indirectement, sur le comportement du spectateur, en particulier les enfants, les adolescents et les adolescentes. Que**

**ce soit dans la façon de penser, la tenue vestimentaire, la coiffure, le divertissement, la grande disparité dans la détermination dans les rapports entre les sexes de l'extrémisme à la pornographie, l'individualisme et le changement dans les comportements et les rangs des membres d'une même famille et les limites de liberté accordées à chaque individu dans ses relations à l'intérieur et à l'extérieur de la famille...etc. des modèles de comportement adopté.**

## 1. تمهيد:

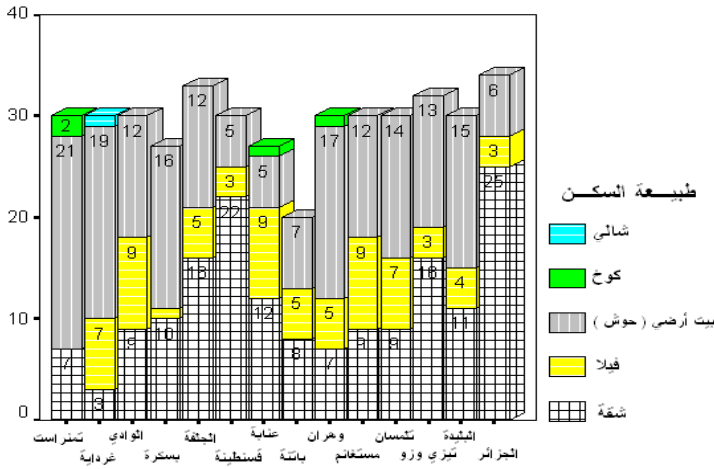
تعدّ التربية من أزم الواجبات وأخطرها في فعل المرابي لأنها عملية شاقّة، وعليها تبنى الأسرة وتؤسس هياكل المجتمع، ويخطط لمستقبله، فأبي تهاون أو سوء توجيه في التربية قد يعرض مؤسسة الأسرة بأكملها إلى نكسات، والمجتمع لأخطار متفاوتة الآثار.

فنجاح الأداء التربوي يحتاج في رأينا إلى مفهوم الشمولية في التربية التي تهتم بكل الجوانب وليس بجانب معين على حساب آخر، كما أن أي خلل في إحدى الجوانب قد يعرض الأبناء إلى أخطار، وبالتالي تتحدّد هذه الشمولية في: تهيئة الظروف المادية الضرورية، تبادل العواطف، تلقين القواعد الجمالية التي تنمي الذوق السليم، ترسيخ التربية الوطنية التي تنمي الروح الوطنية في النفس، وضع الخطوط العريضة للضوابط الأخلاقية والدينية والتنبيهات...، كل ذلك ينبغي أن يعيه كل من يمارس عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية خصوصا مع التغيرات السريعة التي تعرفها المجتمعات وبالأخص مجتمعنا الجزائري. إن عملية التربية الآن تطرح إذن عدة إشكاليات سوسولوجية لارتباطها الشديد بمختلف التغيرات المعاصرة: تغيرات سوسيو- اقتصادية خاصة (ظروف معيشية وسكنية) وسياسية - أمنية، وتكنولوجية، وثقافية بمعناها الواسع.

حاولنا الإجابة عن تلك الإشكاليات من خلال دراستنا لعينة ممثلة للمجتمع شملت مختلف مناطق الجزائر: تلمسان (الهقار)، غرداية، الجلفة، الوادي، بسكرة، عنابة، قسنطينة، باتنة، تيزي وزو، العاصمة، البليدة، وهران، مستغانم، تلمسان. تتكون العينة من 826 زوج وزوجة أي 404 من الأزواج و422 زوجات، كما بلغ عدد الأسر فيها 413 أسرة. وتجدر الإشارة إلى أننا قمنا بالتحليل الكيفي والكمي مع استعمال طريقة كا2 لتدقيق المعطيات الإحصائية (تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع).

## 2. علاقة الفضاء الفيزيائي الداخلي والخارجي بتوزيع أفراد الأسرة:

يتناول هذا المحور علاقة الفضاء الفيزيائي بتوزيع أفراد الأسرة وتم تقسيمه منهجيا إلى ثلاثة محاور فرعية تتمثل فيما يلي: - مدى انعكاس طبيعة السكن على تربية الأبناء - مدى تواجد أشخاص آخرين في نفس السكن بالإضافة إلى الزوجين والأبناء، قصد الوقوف على أهمية السكن والكشف عن الأسباب الظاهرة والباطنة التي تعرقل سيورة الأداء التربوي للوالدين تجاه أبنائهم أو العكس من خلال الحراك السكني.



أعمدة متراصة رقم 1 تمثل علاقة الولاية بطبيعة السكن

من خلال الرسم البياني للأعمدة المتراصة رقم (1) التي تمثل "علاقة الولاية بطبيعة السكن" نستشف أن هناك عدّة أنواع للسكن: شقة، فيلا، بيت أرضي (حوش)، كوخ، شالي. إلا أنّ طبيعة السكن المنتشرة أكثر هي العمارة (الشقة) التي تمثل النوع الأول - بالإضافة إلى الأنواع الأخرى- وقد تركز في كل من العاصمة بأعلى تكرار، ثم قسنطينة، الجلفة وتيزي وزو، ثم انخفاض نسبي في الولايات الأخرى، لينخفض أكثر في تمنراست وغرداية. إن هذه المعطيات التي تظهر الانتشار الواسع للعمارات (الشقق)، تدل على خصوصيات بعض المناطق الجزائرية المكتظة بتمركز عدد السكان في المدينة أكثر من الريف، وهجرة مجموعات كبيرة نحوها لوجود فرص أكثر للعمل في مؤسسات مختلفة، وتحقيق طموحات فردية وجماعية في المدن عكس الأرياف هذا من جهة، ومن جهة أخرى، عدد

المساحات الممنوحة للبناء الشخصي (ملكية عقارية شخصية) يصعب الحصول عليها، كما أن مدخول الفرد العادي لا يؤهله في أغلب الأحيان لشراء قطعة أرض وبناء ما يطمح إليه من شكل هندسي إلا نسبيا، مما يفسر لجوء الأفراد إلى السكنات الاجتماعية التي وجدوا فيها تسهيلات أكثر بفضل تغطية الدولة منذ استقلال البلاد إلى يومنا.

نلاحظ أيضا وجود طبيعة أخرى للسكن في مناطق الجزائر، والتي عرفت أيضا انتشارا واسعا مثل النوع الأول، لكن هذه المرة بتفاوت مميّز في مناطق معينة يظهر تفضيل السكن الأرضي (الحوش) على الشقق (العمارات)، وهو سكن تقليدي يبنى وفق المقاييس المعمارية لخصوصية المنطقة التي ينتمي إليها، فكان أعلى تكرار في تلمسان (المقار)، ثم غرداية، ثم ولايتي وهران وبسكرة، وباقي مناطق أخرى، ثم ينخفض التكرار أكثر في كل من باتنة والعاصمة، ثم قسنطينة وعنابة.

ففي تلمسان وغرداية خاصة وجدنا هذا النوع "السكن الأرضي" (الحوش) منتشرا بصفة واسعة، نظرا للطابع الثقافي والأعراف العائلية والجماعية التي تميزهما، إذ أن الطابع المميز لهما هو الشكل المعماري الذي يحقق الحدود الشرعية والعرفية بين الأسر سواء التي تنتمي لنفس الأسر الكبيرة (العائلة) أو لأسر أخرى متواجدة في نفس المكان، مع وقوف كل جنس عند حدوده حتى ولو كان من نفس الأسرة، كل ذلك لترك حركة مرور النساء بحرية للالتقاء أو السهر أو للأعمال المنزلية... الخ. وما يميّز أيضا هذا النوع من السكن هو التواجد الجوّاري لعدّة أسر خاصة في تلمسان، لأنها تنتمي لنفس النسق القرابي ذات النسب الأبوي، فالابن المتزوج يسكن عادة بجانب والديه ولا يفصل بينهما إلا جدار، والإخوة المتزوجين بجانب بعضهم البعض والأعمام... وهكذا، مع العلم أن لكل أسرة بابها الرئيسي المستقل الذي يطل على الخارج.

على عكس المناطق الأخرى التي وجدنا فيها هذا النوع من السكن الأرضي يضم عدّة أفراد في سكن واحد من نفس العائلة، كما أن السكنات الأرضية أو المجاورة أو المحاذية لها تمتلكها جماعات أسرية أخرى لا علاقة لها بالانتساب أو الانحدار القرابي الأبوي، مع العلم أننا وجدنا أيضا فئة قليلة من الأسر لا تجمعهم أي علاقة قرابية ومع ذلك تشترك في نفس السكن ولا تحض أي أسرة منهم إلا بغرفة واحدة رغم كثرة أفرادها، لاحظنا ذلك في وهران

وخاصة في بلدية "الحمري".

يلي النوع الثالث من السكنات، والمتمثل في "الفيلا" سواء بطابق واحد أو أكثر أو بدون طوابق، وعلى العموم كلها تتوفر على حديقة ذات حجم معين، وساحة للعب الأطفال... إلخ، فهذا السكن يتميز على السكن السابق (الحوش) كونه يحمل جودة معمارية عالية عكس النوع السابق الذي هو تقليدي ومواد بنائه أيضا تقليدية: الطوب، الرمل، الحجارة... إلخ، كما أنّ الأشخاص الذين يسكنون "الفيلا" هم عادة من الطبقات الميسورة. ويتفاوت انتشار هذا النوع من منطقة إلى أخرى فنجد تقارب التكرار أساسا في مستغانم وعنابة والوادي...، ثم ينخفض أكثر في وهران، العاصمة ومناطق أخرى، بينما يغيب تواجدها في تمنراست.

أما فيما يخص النوع الرابع فيتمثل في "الأكواخ" حيث وجدنا بعض المجموعات الأسرية تعيش في ظروف مزرية وهم يتمركزون جزئيا في كل من تمنراست، عنابة ووهران. وأخيرا نجد النوع الخامس: "شالي" أو السكن الأرضي الجاهز، تسكن فيه مؤقتا مجموعات من أسر موظفي "سوناطراك" في زلفانة ولاية غرداية.

أسباب عدم الرضا بالسكن					
المتغير	قيمة كا 2	درجة الحرية	نسبة الدلالة	المرتبة	التأثير
حجم السكن	145.430	22	0.000	1	له تأثير قوي
ملكية السكن	68.051	55	0.111	2	ليس له تأثير
المستوى المعيشي	37.566	22	0.020	3	له تأثير

### 3. مدى تأثير عامل السكن على الاستقرار الأسري وتربية الأبناء

إنّ الجدول الإحصائي رقم (1) الذي يظهر علاقة تأثير حجم السكن بأسباب عدم الرضا عنه وجدنا الاتجاه العام للجدول يتمركز بنسبة معتبرة من المبحوثين 54.47% في صنف "بدون إجابة" مقابل المجموع الكلي للأصناف 41.40% التي تظهر أسباب عدم الرضا بالسكن بنسب متفاوتة. وهنا نشير إلى حقيقة مهمة توصلنا إليها بعد معاينتنا للميدان أن "الذين يتواجدون في صنف "بدون إجابة" الجزء الأول منهم صرح بما يلي: "لا داعي للشكوى نحن صابرين على وضعيتنا لأنه ليس لنا البديل مهما كان حجم السكن ضيق أو متوسط " أما موقف الجزء الثاني منهم فهو الرضا بطبيعة

السكن خاصة الواسع. يلي هذا الصنف أصناف أخرى متفاوتة النسبة تظهر عدم رضا المجموعات الأسرية على حجم السكن خصوصا وأنا قد بينا في السابق وجود أنواعا من السكنات المنتشرة أكثر مثل الشقة والسكن الأرضي التقليدي (حوش)... إلخ. لقد كانت أكبر نسبة 12.10% في المجموع الكلي الصنف الثاني "لا يتماشى وأعداد الأسرة" والمواظبة على الاتجاه العام كان بأعلى نسبة في فئة "ضيق" بـ 27.90%.

المجموع	واسع	متوسط	ضيق	حجم السكن الأسباب
17	/	9	8	أثر على تدهور العلاقات بين أفراد الأسرة -1-
4.1%		5.32%	6.20%	
50	/	14	36	لا يتماشى وعدد أفراد الأسرة -
12.10%		8.28%	27.90%	2-
27	/	8	19	صعوبة التحكم في تربية الأولاد -
6.53%		4.73%	14.72%	3-
31	/	14	17	أثر نفسيا واجتماعيا على أفراد الأسرة -4-
7.50%		8.28%	13.17%	
9	/	3	6	أثر على تأخر سن زواج الأبناء والبنات -5-
2.17%		1.77%	4.65%	
14	/	7	7	جميع الأسباب الخمسة
3.38%		4.14%	5.42%	
8	/	6	2	للسبب 1 و 2
1.93%		3.55%	1.55%	
7	/	3	4	للسبب 1 و 2 و 3
1.69%		1.77%	3.10%	
19	/	6	13	للسبب 1 و 3 و 4
4.60%		3.55%	10.07%	
6	1	5	/	أريد تغيير نمط السكن
1.45%	0.86%	2.95%		
225	114	94	17	بدون إجابة
54.47%	99.13%	55.62%	13.17%	
413	115	169	129	المجموع
100%	100%	100%	100%	

جدول رقم 1: يبين علاقة حجم السكن بأسباب عدم الرضا عنه

وقد يدل ذلك على أن الذين يسكنون الشقق أو حتى السكنات التقليدية يعانون من عدم تماشي عدد أفراد الأسرة مع الفضاء الفيزيائي (العمراي للسكن) بسبب السكن سواء ضيق أو متوسط،

فمهما كان عدد أفراد إلا أن الهندسة المعمارية للشقق خاصة لم تأخذ بعين الاعتبار حجم العائلة الجزائرية سواء كانت نواتية أو معدلة -سنرى فيما بعد مدى تأثير عدد الأشخاص الذين سيسكنون مع الزوجين والأبناء.

فالسكن العصري(الشقة) قد يحوي على غرفتين إلى أربع غرف على الأكثر ولا يحوي بداخله فضاء لعب للأطفال، أما السكن التقليدي (حوش) فقد يحوي عند البعض أيضا غرفتين إلى أربع غرف عند الفئات المتوسطة والفقيرة، وفي وسط السكن ساحة متوسطة الحجم تستخدم أساسا لغسل الثياب، ومستلزمات الأعمال المنزلية، ونشر الثياب، أو للجلوس والنوم فيها عند البعض في فصل الصيف والأوقات الحارة نظرا لضيق البيوت وانعدام التهوية.

يلبي صنف "أثر نفسيا واجتماعيا على أفراد الأسرة" ب 7.50% من المجموع الكلي والمواظبة كانت بأعلى نسبة دائما في فئة " ضيق " ب 13.17%، و 8.28% في فئة "متوسط" وهذا يظهر أساسا مدى تأثير حجم السكن على الراحة النفسية والاجتماعية خاصة الذين يسكنون الشقق والأكواخ المتواجدين في المدن. فبالإضافة إلى صعوبة الظروف المعيشية نجد هذه الأنواع من السكن مرتبطة أيضا بطبيعة الملكية التي تؤثر على الراحة النفسية والاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة - سنها فيما بعد- لقد لاحظنا في الميدان عند بعض الأسر الفقيرة والمتوسطة استحالة حتى النوم في الليل من شدة تفكيرهم وعدم استقرارهم السكني، كما يؤثر حجم السكن أيضا على العلاقة بين الزوجين وما بين الإخوة والأخوات، فهناك حتى من ينامون مع بعض في نفس الغرفة، أو الإخوة أو الرجال ينامون في النهار ليتركوا المكان للنساء في الليل...إلخ.

ثم يلي صنف " صعوبة التحكم في تربية الأبناء " كانت المواظبة بأعلى نسبة 14.72% في فئة " ضيق"، بينما فئة "متوسط" ب 4.73% بينما تنعدم النسبة في فئة " واسع ". هذا يفسر بأن عملية تربية الأبناء عملية ليست بالأمر السهل في وقتنا المعاصر لأن أدنى الشروط المادية الضرورية التي توفرها الأسرة للأبناء هو الراحة في السكن الذي يساعد فيما بعد على تلقينهم سلوكيات أخرى، فيكون الأخذ والعطاء بين أفراد الأسرة، وتعبير كل عضو فيها عن حاجات أخرى تتجاوز الماديات. لكن إذا حدث العكس في حجم السكن (ضيقه خاصة) مثلما رأينا فإن ذلك يؤثر على طبيعة العلاقات، حيث وجدنا الأسر الراضية لوضعيتها السكنية ركزت على صعوبة تربية الأبناء ففي "عناية والجلفة ومختلف الولايات وخاصة وهران والعاصمة بعض السكنات مزدحمة بأشخاص آخرين خلافا للزوجين والأبناء والأجداد



أحيانا. هذه الوضعيات أدت ببعض الأسر إلى الخراف أبنائها. فهناك سكن مشترك لعدة أسر ذات صلة قرابية، وهناك من لا تجمعهم أي صلة قرابية وقد صرح لنا بكل صدق بعض أفراد العينة " أن أبنائهم أصبحوا الآن يتعاطون المخدرات ويشربون الخمر وهناك من دخلوا في عصابات للسرقة بالليل ولم يستطع الأولياء التحكم في هذه الوضعيات وحلّها" فكانوا يطلبون مني النجدة ومن السلطات ضانين أنني أملك بعض الحلول، لكنني أفهمتهم سبب وجودي وحاولت فيما بعد أخذ مواعيد مع السلطات المحلية وشرحت لهم وضعية هذه المجموعات السكانية التي تشتكي حالتها منذ السبعينات إلى يومنا منذ أن كان أبنائهم صغارا إلى أن كبروا: بلا هدف، ولا عمل، ولا سكن، ولا علاج لتلك الآفات التي حلت بهم.

ذكرت لنا أيضا مجموعة من الآباء وهي تبكي أمامي بسبب الظروف المعيشية وغلاء المعيشة والبطالة للذكور البالغين، والفقر وعدم الاستقرار السكني، هذا الأخير الذي جعل بعض أفراد الأسر (الذكور) يستخدمون بعض التضحيات حتى ولو كانت على حسابهم، خوفا على بناتهم وأخواتهم، السهر في الليل في الشارع الذي أصبح كماوى لا بديل له، مع محاولة نسيان تلك الوضعية، وترك المجال للإناث (نساءهم، وأخواتهم، وأمهم) للنوم في الليل بسبب ضيق السكن، وأحيانا عند أسر أخرى التداول على غرفة واحدة. لقد أصبح الليل هو النهار بالنسبة لجماعات الأبناء وأصبحت العلاقة تبادلية بينهم وبين جماعات أخرى منحرفة. فجماعة المنحرفين استغلوا هؤلاء الأبناء لترويج المخدرات والسلوكات المنحرفة والثانية جماعة الأبناء تم تماثلها مع هذه الجماعات التي حسبها تنسيها هموم واقعها المرير في أسرها.

نجد أيضا أسرا أخرى ذات الأبناء الصغار تطرح مشكل "صعوبة تربيتهم" نظرا للضيق فالطفل بطبيعته يميل للعب ويتطلع إلى سعة الفضاء ليطور قدراته الجسمية والحركية. فما لاحظناه من حالة ضيق السكن وما يحيط به من فضاء لمساحات خضراء وأخرى للعب، هي شبه غائبة أو منعدمة فكيف يتربى هذا الطفل إذن؟ فبعض الأمهات تبعث بأبنائها إلى خارج المنزل، لاكتناظهم في غرفة واحدة وكثرة شجارهم مع بعضهم البعض، ولا يوجد ما يشغلهم - خاصة الأسر ذات المستوى والإمكانات المحدودة - الأمر الذي يثير نرفزتها وزوجها من جهة، ومن جهة أخرى خروجهم للشارع في محيط لا يتوفر حتى على أدنى آليات الترفيه الخاصة بسنهم، يجعلهم يقعون في نسيج آخر متناقض مع تربيتهم أحيانا فيتعلمون سلوكات وخطابات غير لائقة ممن يكبرهم سنا، كالتدخين والتسكع، التلفظ بكلمات لأخلاقية.. الخ، بدل من البقاء في حيز البراءة.

وهذا يرجع في رأينا إلى شبه غياب لتخطيط استراتيجي للسكن الذي يجمع بين البعد الاجتماعي الذي يحفظ العلاقات ويلي الحاجيات النفسية والترفيهية لمختلف أفراد الأسرة خاصة الصغار، والبعد الفيزيائي الذي يحقق الفضاء الواسع للسكن (بالداخل وما يحيط به من الخارج) كل هذا لن يتحقق إلا بتكامل جهود كل من المهندسين المعماريين والباحثين في علم الاجتماع العائلي والثقافي خاصة، لأننا ما لاحظناه في عدّة ولايات هو تجمع عدة سكنات تتسم بفقدان الحيوية والنشاط: كعدم وجود مساحات خضراء للترويح بالنسبة للكبار والصغار ولا أماكن مخصصة للعب الأطفال، مجهزة بإمكانيات ولو بسيطة كبعض الألعاب المثبتة على الأرض، أو الأرجوحة... الخ ضف إلى ذلك شبه غياب للملاعب ولو صغيرة لممارسة مختلف أنواع الرياضة (كرة اليد، السلة، القدم،... الخ).

وجدنا صنفاً آخر له أهمية كبيرة ودلالة سوسولوجية رغم ضعف نسبته: 2.17% "أثر على تأخر سن زواج الأبناء"، حيث يطرح انشغالا عميقا للوالدين بسبب الوضعية التي آل إليها الأبناء الكبار الذين هم في سن الزواج وأحيانا كثيرة تأخر سنهم أو سنهن، وتظهر النتائج أن الذين تعذر عليهم حصانة أنفسهم ترجع إلى سبب ضيق السكن بنسبة 4.6% ثم تتخفف النسبة عند الذين لهم سكن متوسط الحجم بـ 1.77%، فرغم ضعف نسبة هذه الأخيرة إلا أننا لاحظنا عند أغلبية الأسر أن عدد الغرف لا يتناسب مع عدد أفراد الأسرة وهذا أيضا يعبر عن معادلة صعبة نتيجتها انعكاس سلبي على الجانب النفسي والاجتماعي للوالدين وخاصة الأبناء، الذين تجاوزوا سن الزواج العادي ودخلوا في عتبة الخطر الذي يهدد استقرارهم النفسي والاجتماعي بسبب ضيق السكن الذي عرفل مساره. وهذه الوضعية نجدها أيضا انشغال يقلق الفتاة المعنية بالزواج فمصيرها غامض أمام صعوبة وضعية الخطيب الذي ليس بإمكانه شراء بيت ولا كرائته لغلائه خاصة في المدن الكبرى كالعاصمة، فسنطينة، وهران... الخ وفي نفس الوقت لا يستطيع العيش مع والديه وإخوته نظرا للضيق، فكلاهما (الشباب والفتاة) أمام وضعية حلولها صعبة المنال.

إن هذه الوضعية في المجتمع الجزائري هي في تزايد إذا أخذنا بعين الاعتبار النسبة العالية لفته الشباب، ومن آثار هذه الظروف أصبحنا نلاحظ أيضا انتشار بعض السلوكات عند بعض الشباب كاللقاءات المتكررة بين الجنسين واتباع الرغبات العاطفية وحتى الجنسية خارج الضوابط الأسرية والشريعة والقانونية وعلى العكس في المدن الصحراوية والمدن الداخلية هناك شبه غياب لهذه السلوكات رغم وجود مشكل ضيق السكن أيضا ويرجع هذا لقوة القيم الاجتماعية والدينية والعرفية التي تجعل الشاب

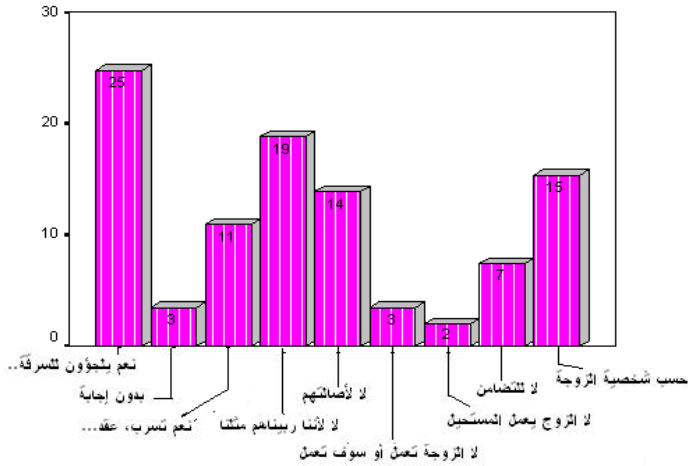
يصبر ويتجنب أي سلوك لا يقبل من طرف المحيط الذي يعيش فيه حتى يجد حلا.

ولما أردنا التعمق أكثر في الظروف السكنية وأسباب عدم الرضا بالسكن وتأثيرها على تربية الأبناء أضفنا متغير آخر "عدد الأشخاص الذين يسكنون معهم بالإضافة للزوجين والأبناء" وربطناه بمتغير "نوعية السكن". وجدنا: 47.1%، تجمع بين وضعيات الأسر غير المستقرة في السكن كالكراء، مع الورثة، مشترك، سكن وظيفي، فوضوي. فمثلا وجدنا أعلى نسبة في صنف "كراء" 20.6% من المجموع الكلي والمواظبة كانت بأعلى نسبة عند الأسر النواتية 24.4% ثم تنخفض النسبة قليلا عند الأشكال الأخرى، وهذا دليل على عدم الاستقرار السكني (الحراك السكني لبعض الأسر الجزائرية خاصة النواتية) مما يؤثر على طبيعة تربية الأبناء الناتج عن تغيير السكن في كل مرة، أين يجد الطفل نفسه في محيطات متناقضة تساهم هي الأخرى سلبا أو إيجابيا في تربيته.

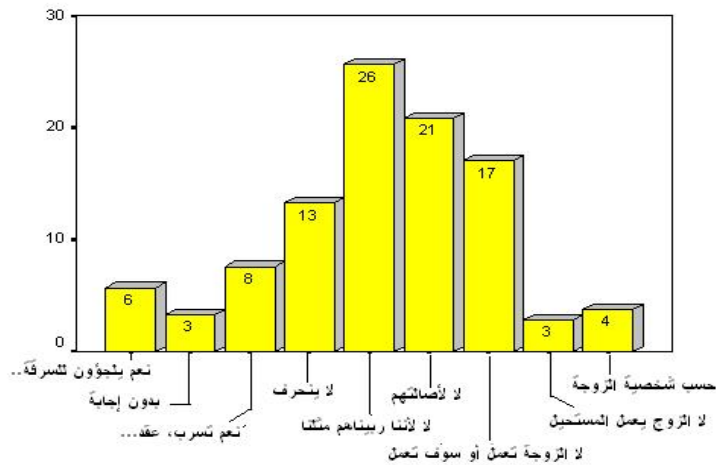
#### 4. الفضاء المادي وعلاقته بكيفية السعي إلى تلبية الحاجيات الضرورية لأفراد الأسرة:

##### 1.4. أثر انخفاض المستوى المعيشي للأسرة على تربية الأبناء:

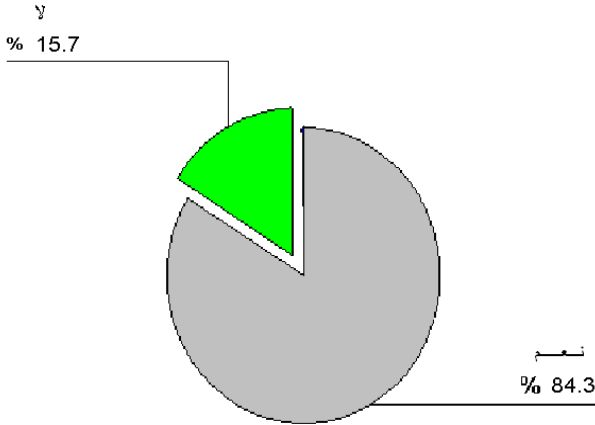
لقد لاحظنا عند معاينتنا الميدان أن انخفاض الظروف المعيشية وعدم سدّ الحاجيات الضرورية من أكل، لباس، علاج وترفيه... لأفراد الأسرة يؤثر سلبا على أفراد الأسرة، خاصة الأبناء، حيث ينجم عن ذلك عند البعض التسرب المدرسي وتكوين عقد نفسية خطيرة كالإحساس بالدونية وتقليد الميسور حالهم بأي طريقة، أما البعض الآخر فيلجأ مباشرة إلى الانحراف في السلوك: الميول للسرقة، تعاطي المخدرات... إلخ. لكن وجدنا في نفس الوقت أسر كثيرة تعيش ظروفًا معيشية صعبة ومع ذلك لم ينحرف أبنائها ولما بحثنا أكثر عن الأسباب اكتشفنا من خلال مواقف وآراء المبحوثين أن ذلك يعود إلى عدة عوامل نذكر أهمها: تأثير التربية في الصغر على إعادة غرس قيم أخلاقية دينية مثل الصبر، القناعة، الكسب الحلال... إلخ - دور الثقافة الفرعية الخاصة بكل ولاية (أصل وأعراف وعبادات العائلات) - دور التضامن ومساعدة الآخرين - كما وجدنا عامل عمل المرأة وما تمتلكه من مهارات يجنب انحراف الأبناء والرسومات البيانية تؤكد ما قلناه.



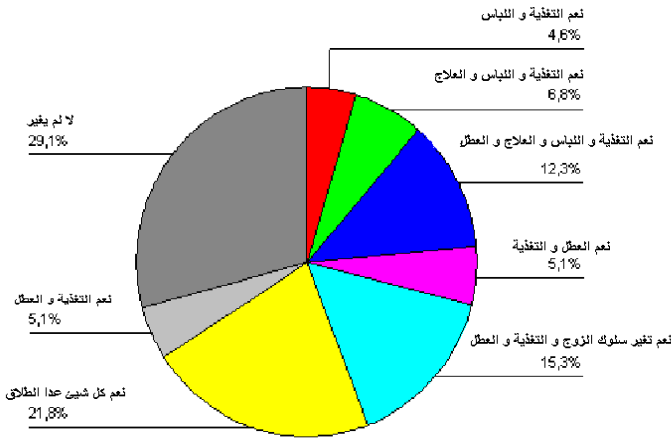
أعمدة بيانية رقم: 2 آراء ومواقف الأزواج حول مدى انحراف الأبناء في حالة عدم سدّ الزوج الحاجيات الضرورية لهم



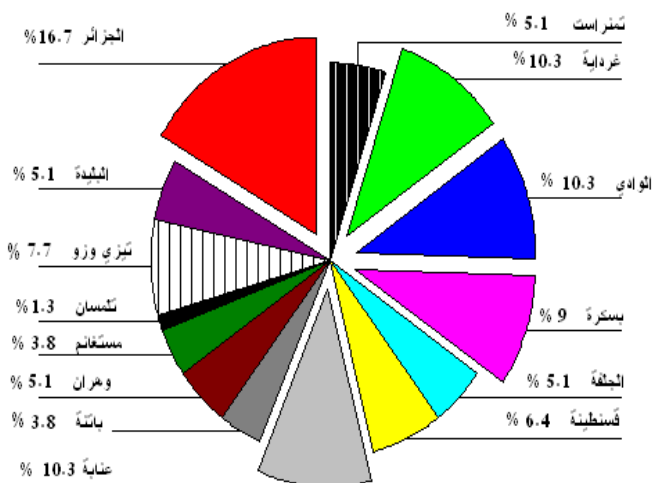
أعمدة بيانية رقم: 3 آراء ومواقف الزوجات حول مدى انحراف الأبناء في حالة عدم سدّ الزوج الحاجيات الضرورية لهم



رسم دائري رقم : 1 آراء المبحوثين و(ت) حول مدى انخفاض المستوى المعيشي للأسر في العشرة الأخيرة إلى يومنا



رسم دائري رقم : 2 يمثل مظاهر تأثير انخفاض المستوى المعيشي على ميكانيزمات الاستقرار الأسري



رسم دائري رقم: 3 يمثل مدى صعوبة تربية الأبناء والبنات عند الأسر حسب مختلف المناطق الولايات)

## 5. الجانب النفسي والعلائقي الذي يربط الزوجين ببعضهما وأبنائهما

تمهيد:

إذا كانت العوامل المادية في المحورين السابقين السكن (أي الفضاء المعماري) الذي لاحظنا يؤثر في اتجاهات أفراد الأسرة ومواقفهم. كما يؤثر على الجانب النفسي والعلائقي لضيقه ولا يتلاءم وعدد أفراد الأسرة... إلى غير ذلك، في مختلف مناطق الجزائر تقريبا، كما توصلنا أيضا إلى تأثير المستوى المعيشي وتغير الظروف الاقتصادية (غلاء المعيشة)، التي انعكست على كل مظاهر الحياة الأسرية من أكل غير متوازن، اللباس، العلاج، الترفيه والعطل... إلخ. وبالتالي تؤثر على تربية الأبناء وتؤدي ببعض الأسر إلى انحراف أبنائهم توصلنا أيضا إلى عوامل أخرى جديدة تؤثر على تربية الأبناء وتوجيههم حيث تظهر أهمية التكافؤ بين الزوجين وتكاملهما في مقاييس معينة سنتناولها في المباحث (المحاور الفرعية) التالية:

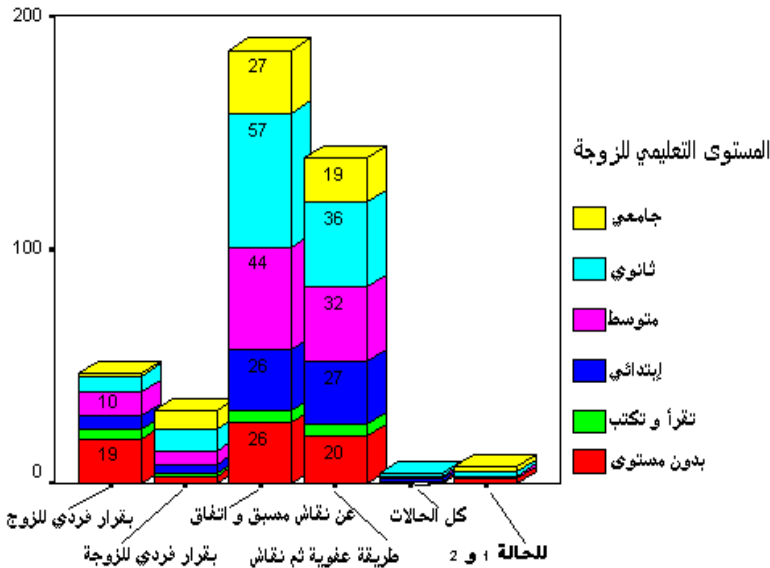
أشكال اتخاذ القرار فيما يخص البيت والأطفال -مدى مناقشة الزوجين حول

الطريقة الفضلى لتربية الأبناء.

مدى التمييز بين البنين والبنات -أساليب الاتصال والتفاهم بين الوالدين والأبناء -  
مظاهر الأساليب التربوية عند مختلف الأسر الجزائرية.

### 1.5. أشكال اتخاذ القرار فيما يخص البيت والأطفال:

بعدما استخدمنا كإحدى لضبط المتغيرات المستقلة ذات التأثير والدلالة الإحصائية وعلى هذا المتغير (أشكال اتخاذ القرار فيما يخص البيت والأطفال) وجدنا متغيرا الولاية والمستوى التعليمي للزوجة لهما تأثير، بينما مهنتها ومستوى الزوج ليس لهما تأثير، حيث وجدنا أن اتخاذ القرار فيما يخص البيت والأطفال يتم بنسبة كبيرة 44.8% في كل الولايات، كما وجدنا أن أهمية التكافؤ بين الزوجين في المستوى التعليمي يلعب دورا في اتخاذ القرار فيما يخص البيت والأطفال والمناقشة حول الطريقة الفضلى للتربية التي وصلت إلى نسبة 63.2% في صنف "دائما" وقد تقلص تفرد الزوج بالقرار، نتيجة توسيع أدوار المرأة المعاصرة التي امتدت إلى العديد من فضاءات المجال العمومي على رأسها العمل مما دعم مركزها التفاوضي داخل الأسرة.



مدرج تكراري متراص رقم: 4 أشكال اتخاذ القرار فيما يخص  
البيت والأطفال وعلاقته بالمستوى التعليمي للزوجة

## 2.5. أثر الرقيب على الطفل المراهق (ة) له علاقة بتكامل وتكافؤ الزوجين في المقاييس:

إن التغيرات وشدة الانفعالات واكتمال تكوين الشخصية من 13 سنة إلى 24 سنة تقع في مرحلة المراهقة التي هي من أهم وأخطر المراحل في حياة الشباب، فالمراهق أو (ة) في هذه المرحلة تكتنفه الكثير من المظاهر السلوكية في نفس الوقت: من إثبات الذات، حب الفضول، الأنانية، العدوانية أحيانا، ألا مسؤولية، الميول إلى الجنس الآخر، هيجان الشهوة... ويختلف ذلك من مراهق لآخر حسب قوة شخصيته وحسب أثر توجيه الرقيب الذي يتمثل في محيطه الأسري، وحسب مدى ترسيخ مكانة رقابة الله ووجوده معه كرقيب روحي في أي مكان، يجازي على كل فعل خير وعلى كل تفكير يبتابه (غير خير) ولم يفعله في الواقع، ويعاقب على كل معصية أو فعل غير لائق اجتماعيا.

أضف إلى ذلك أثر المحيط المدرسي، والحي، ووسائل الإعلام المكتوبة، المسموعة، وبالأخص القنوات الفضائية.

إن لكل ذلك تأثير بالغ في التوازن النفسي والاجتماعي للمراهق من مدى الاهتمام به، توجيه ميوله، تصحيح أخطائه، وتشجيعه على تفاديها أو تجنب الأخطاء قبل الوقوع فيها، التمييز خاصة بين الحلال والحرام، التأقلم مع محيطات أخرى وفق قاعدة قيمة ذات معايير متجددة مع العصر، رغم التناقض الموجود أحيانا بين الأسر فيما بينها وبين المجالات المفتوحة كالمدرسة، الحي، الأصدقاء ووسائل الإعلام خصوصا وأن وسائل الإعلام كما يقال كل ذلك يتطلب حضور أو وجود "رقيب دائم" اجتماعيا وحسبا خاصة في الحالتين الأساسيتين للمراهقة: 13-17 سنة، ثم 18-24 سنة.

خصوصا وأن وسائل الإعلام كما يقول ماكلوهان: "تحدث تعديلات في محيطنا النفسي وتفرض علينا نمطا من التصور والتفكير الذي يراقبنا بكيفية لا نكاد ندركها..." (عزي عبد الرحمان، 2003).

فكما أن لمختلف وسائل الإعلام خاصة (القنوات الفضائية) أو الانترنت تأثيرات إيجابية: توسيع دائرة معارف الفرد وثقافته المحلية من خلال الاحتكاك الثقافي، إشباع مختلف الحاجيات الفردية والجماعية مثلما أظهرت نظرية "الإشباع والاستخدامات" أن ما يجعل الجمهور شديد الارتباط بالوسيلة الإعلامية يتمثل في عملية الإشباع التي توفرها وسائل



الاتصال" تساعد على نقد الذات وتغييرها خاصة إذا كانت تجمع بين العالم المادي والروحي من خلال ما تعرضه من تجارب رمزية تجعل الفرد يعدّل من آرائه وسلوكياته. فإن لها تأثيرات سلبية خاصة إذا وجدت الجوّ الأسري ملائم لغياب مرجعية قيمة أو تناقض في المعايير بين أفراد الأسرة الواحدة وعدم التكافؤ بين الزوجين في المقاييس (المستوى التعليمي، التدين، الأخلاق، الحسب...)، وفي الأهداف واستراتيجيات تربية الأبناء، التي لا تستخدم ميكانزمات فعالة مثل: الاستمرارية في التوجيه والرقابة، الجمع بين الصرامة ونوع من الحرية، توفير الإمكانيات المادية وغياب القدوة...إلخ.

مما يجعل أفراد الأسرة وخاصة الأبناء يتبنون مرجعيات أخرى خاصة من خلال المحتويات التي تعرضها وسائل الإعلام وبالأخص الترفيهية، لأنها عادة تعرض إلا ما يرغب فيه الأفراد حتى ولو كانت بعيدة عن القيم الثقافية للمجتمعات، وينجم عن ذلك انتشار محتويات العنف والجنس في الأفلام والمسلسلات ذات النفع التجاري، نجد أيضا من سلبياتها إضعاف النسيج الاجتماعي بين الأفراد والجماعات باعتبار الوقت الذي يقضيه الفرد مع هذه الوسائل يكون على حساب تفاعله مع أهله فيعفي نفسه من المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين. فتطور وسائل الاتصال من صحف إلى إذاعة إلى تلفزة وأخيرا الحاسوب والشبكات المعلوماتية يجعلنا نقرب من ما أسماه فيراروتي بـ"نهاية المحادثة" إلى الاتصال الشخصي المباشر. (فيراروتي 1988 F. Ferrarotti).

نجد أيضا وسائل الإعلام تعزز الفردانية والمادية من خلال نماذج حياة الأفراد التي تظهر في الأفلام والمسلسلات، كما أظهر الباحث باندورا، BADURA صاحب نظرية التعليم الاجتماعي "أن الجمهور يلاحظ ويشترك تجربة الآخر ويتخذ ذلك نموذجا" أو قدوة وهو ما نلاحظه عند فئة من الشباب اليوم في الجزائر من خلال اتحاذهم لبعض الممثلين أو المغنيين قدوة لهم في لباسهم، سلوكهم، طريقة تفكيرهم، انحلالهم الخلقي... إلخ

أظهرت دراسات أخرى لوسائل الاتصال من خلال تكرار الرسالة التي تخرج عن السياق الثقافي القيمي للأفراد، قد يؤدي ذلك إلى إضعاف الإحساس اتجاه الممنوعات الثقافية كتأثير أفلام العنف والجنس وتقليل الصفات السلبية "مثل تعلم مهارات السرقة، مثلا التحفيز بإثارة النزاعات العدوانية الكامنة في الفرد" مالفان وآخرون (1982) MALVIN & AI،

كما بينت دراسات أخرى أنه من خلال الإدمان على مشاهدة التلفزة يضعف الأداء المدرسي عند الأطفال.

نقول إذن يكون التأثير إيجابيا إذا كانت المحتويات على صلة بالقيم، وبالمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات الإعلامية، المسموعة أو المقروءة أو المرئية تتناقض معها، فغياب المرجعية الثقافية للأسرة وضعف المستوى التعليمي للآباء والأمهات وعدم وعيهم بالتطورات التكنولوجية الحديثة يؤدي إلى التأثير السلبي لهذه الوسائل.

لكن ما نلاحظه عند بعض الأسر الأخرى والتي أطلقنا عليها مدلول "أسر شبه مستقرة"، هو غياب التوازن الأسري في السيرورة التربوية التي تجمع بين دور الأب من جهة ودور الأم أو ولي آخر من جهة أخرى - (في حالة غياب أو فقدان الأب) - فهناك نوعان من غياب ولي الأمر (الرقيب):

أ- **غياب معنوي**: ونقصد به الأب خاصة، موجود بجسده ولكن متابعة أولاده وتعامله معهم وتحاوره واتصاله مع أبنائه غائب، وهذا لعدة أسباب: كثرة أسفاره وعدم استقراره في بلده، طبيعة عمله في بعض المؤسسات أو المنظمات وعدم تفرغه إلا في أوقات محدودة من الليل، خروجه من المنزل لارتباطاته مع الأصدقاء للترويح في المقهى، الجري الدائم والانشغال بكسب المال وجمعه وهذا من أعظم البلاء الذي يصاب به الإنسان كقوله (ص): "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت" - رواه أحمد وأبو داود، تسلطه وديكتاتوريته التي تفسد كل علاقة مع أبنائه وعدم احساسه بمشاكلهم في المدرسة، الحي، الأصدقاء... إلخ. فيكون اتكاله كلياً على الزوجة بحكم وجودها الدائم مع الأبناء دون مراعاة ما تقومه أيضاً من مسؤوليات ومهام أخرى، لها علاقة بدورها كأُم وكزوجة. إن هذا الاتكال والانسحاب المعنوي للأب هو نتيجة لعدة أسباب تختلف من أب لآخر ومن أسرة لأخرى حسب ما لاحظناه في الميدان.

ب - **غياب حسي**: ونقصد به عدم وجود الأب جسدياً وحسياً في نفس البيت، كأن يرى الطفل المراهق في كنف أمه الأرملة أو أم مطلقة، أو ينشئ يتيم الأبوبين، وهذه الحالات موجودة عند بعض الأسر ولكنها غير موجودة في عينتنا لأننا اعتمدنا الأسر التي تحوي الأبوبين مع ملاحظة عملية التوجيه وأوجه الخلل. وطبعاً لاحظنا أن عملية توجيه الأبناء نسبية بين

الأمهات سواء بحضور حسي أو معنوي للزوج، فهنالك من كانت لهن ملكات وصفات في التربية (سواء في الحزم، الحنان، الحزم، الحكمة، المتابعة في كل شيء، القدرة على اتخاذ القرار... الخ) وهناك من يغلب عليه الحنان والعاطفة لطبيعتها، فكانت التربية هشة فمن الأبناء من لجأ إلى المخدرات، أو سلوكات أخرى لأن مجرد شعور الابن بعدم حضور الأب يغير كثيرا في سلوكهم نحو الأسوء.

## 6. أهمية التواصل التربوي والثقافي بين الأجيال مع إدخال أساليب جديدة في التعامل

### التربوي:

إن تنمية الوعي الثقافي للإنسان العربي وخاصة الجزائري يظهر من خلال مساهمة علماء الاجتماع في توجيهه نحو فهم وتغير الواقع في الاتجاه الذي يحقق له الاستقرار والتقدم، وكما يقول هيوبي نيوتن(1972)، H.Newton: « إن ذلك هو الطريق الوحيد الذي يؤدي في نهايته إلى تنظيم سلوك الناس، فعلى علماء علم الاجتماع المعاصرين... أن يرغبوا في إحداث شيء من اجل دعم حركة أفراد المجتمع في الاتجاه الذي يقلل أعباء الحياة ومعاناتهم اليومية » (محمد علي محمد، 1983).

وإذا كنا بصدد البحث عن إعادة تفعيل دور الأسرة في التواصل التربوي والثقافي وتنظيم سلوك الأفراد لاجتناب مختلف الأمراض الاجتماعية التي تعرقل سيرورة تطور المجتمع، فإننا سنتطرق في هذا المحور إلى جوانب أخرى توصلنا إليها من خلال دراستنا للأسرة وعوامل استقرارها حددناها في المحاور الفرعية التالية:

- المظاهر التربوية التي يراها الأزواج والزوجات إيجابية أثناء طفولتهم وبالتالي اعتمدها الآن في تربية أبنائهم.

- المظاهر الجديدة التي لم يتربوا عليها ويحاولون تربية أبنائهم عليها الآن.

- مدى بذل الزوجين مجهودا لفرض التزام أبنائهم بالقواعد الأخلاقية والممارسات الدينية.

- آراء ومواقف الأسر تعكس مدى تشجيعهم وحرصهم على تعلم الأبناء لغة معينة أو عدة لغات كأداة للتواصل والخطاب في المجتمع.

1.6. المظاهر التربوية التي يراها الأزواج والزوجات إيجابية أثناء طفولتهم وبالتالي اعتمدها الآن في تربية أبنائهم:

عند حساب كاد2 وجدنا متغير المنطقة أو الولاية له تأثير ودلالة إحصائية وسوسولوجية على "متغير المظاهر التربوية الإيجابية" عند الأزواج، ثم عند الزوجات الذي يظهر علاقة إيجابية عند الزوج بطبيعة الولاية التي ينتمي إليها. التطرق إلى حيثيات

تلك المعطيات، سنقدم تحليل شامل لهذا المبحث أوجزناه في النقاط الثلاثة التالية:

أ- أن كل ولاية من ولايات الجزائر تحت الدراسة تعتمد على أساليب تربية متنوعة في الماضي ولم يكن لها أسلوبا واحدا مهيمنا كالشدة والصرامة والضغط عكس ما كان يرى البعض من المحللين الاجتماعيين وغيرهم.

ب - كل مباحث انطلق من وضعية معينة أثناء طفولته، كانت سببا لسلوك إيجابي أفرز شخصية متوازنة وناجحة في المجتمع (غير منحرف) يسعى إلى غرسها في أبنائه وفقا للمرجعية التي تنبأها والديه.

ج - هناك من المبحوثين من عاشوا طفولة تعسة ومعاناة لأن والديهم لم يقوموا بواجبهم التربوي، وهذا ما انعكس عليهم عند كبرهم للبحث عن بدائل أخرى مرجعية.

لقد وجدنا عدة مظاهر إيجابية في أساليب تربية الأزواج في طفولتهم حيث اتسمت بالتنوع مثلا أعلى نسبة 18.1% في "صنف الصرامة مع حرية اتخاذ القرار+الحوار والاعتماد على النفس" وقد كانت المواظبة في غرداية بأعلى نسبة 36.7% ثم تنخفض النسبة نسبيا في باقي الولايات، وهذا يدل على أن أسلوب الوالدين في الماضي يجمع بين الصرامة وعدم الاستهتار أو اللامبالاة ببعض السلوكيات السلبية فهي حازمة وغير متساهلة مع الأبناء وفي نفس الوقت تمنح قسطا من الحرية وإعطاء فرصة للحوار والاستماع للآخر قبل اتخاذ القرار، لكي يبني شخصيته وثقته في نفسه وهو أسلوب مرن ذو بعد سوسولوجي عند الآباء والأمهات في الماضي رغم أنه أحيانا ضعف مستواهم التعليمي وما لفت انتباهنا أيضا هو تصريح أحد المبحوثين في قسنطينة "عدم تخويف البنت" وهذا دليل على أن أسلوب التخويف لوحده لا يكفي للتربية خاصة عند البنات بل ينبغي أيضا إعطاء نوع من الحرية لبناء ثققتها بنفسها ويذكر لنا آخر "تربينا على المناقشة والحوار والصرامة في التعامل مع ترك هامش من الحرية" وهنا تجدر الإشارة أن هذا التصريح قد تكرر أكثر عند المبحوثين في منطقة الجلفة والوادي.

بأبي الصنف الثاني التربية على الصلاح والدين مع الاعتدال والفتح + الحنان بنسبة 16.6% من الملح الكلي، والمواظبة نجدها بأعلى نسبة 30% في غرداية، ثم بتقارب النسبة 26.5% و 25% في تلمسان وقسنطينة وبسكرة، ثم تنخفض النسبة في الولايات الأخرى نسبيا. إن هذا الصنف تركز أكثر في غرداية نظرا لخصوصية هذه المنطقة وتشبهها أكثر من

غيرها بالتعاليم الدينية التي تمثل عامل أساسي للتماسك الأسري والاجتماعي، فتظهر تنشئة الأبناء منذ الصغر على أسس دينية عالية الدقة، مستمدة من مبادئ الإسلام الذي يتضمن قيم إنسانية من عمل الخير في الناس، الطاعة، الاحترام، الصدق وكل الآداب العامة بالإضافة إلى قاعدة المحافظة على الصلاة التي تنهى الإنسان على الفحشاء والمنكر، وعلى غرار التكلم عن مدينة غرداية فإننا لاحظنا أيضا التركيز على هذا الصنف في كل من تمارست وقسنطينة وبسكرة وباقي المناطق الأخرى، من خلال ما تكرر من مضمون تصريحات الباحثين "الحفاظ على تقاليد الإسلام والعادات والتربية"، "العيش على الحلال، التربية على مكارم الأخلاق واجتناب الآفات وكل حرام"، "الكلام الطيب، الحياء، المحافظة على الصلاة"، توضيح الخطوط العريضة والحدود التي لا تتعدى الحرمة، احترام المواعيد، تعلم الصلاة " إلى غير ذلك من التصريحات المهمة التي أدلى بها الباحثون والتي نفهم منها أن الدين الإسلامي يمثل مرجعية قوية يستندون إليها في سلوكهم التنظيمي والاجتماعي وتوجيه أبنائهم وبناتهم.

يلي الصنف الثالث "عدم إكثار الأصدقاء وانتقائهم وتجنب ترك الأولاد للشارع" بنسبة 15.6% من المجموع الكلي، ويعد أيضا صنفا هاما جدا خاصة في وقتنا لأن نوعية الأصدقاء تؤثر سلبا أو إيجابيا في تغير سلوك الابن أو البنت وهي إحدى العوامل الأساسية خاصة في سن المراهقة التي ينبغي أن يركز عليها الأولياء أو الوالدين، وقد ظهر هذا الصنف في مختلف الولايات عدا غرداية وعنابة وباتنة لأن ذلك يمثل بالنسبة إليهم تحصيل حاصل إذ تربي الأبناء على الدين (الذي يجمع بين المراقبة والصرامة والحرية في اتخاذ القرار والحوار).

بينما نلاحظ تركيز ولايات أخرى على هذا الصنف خاصة في تلمسان التي حظيت بأعلى نسبة تقدر بـ 46.7% ويرجع ذلك في رأينا لأعراف هذه المنطقة التي وجدنا فيها تقوقع علاقات أفرادها فيما بينهم وعدم الاختلاط مع الآخرين قصد المحافظة على تماسكهم وعدم تسرب سلوكات غريبة إلى عاداتهم والتي تبدأ من تربية الأبناء على تعليمهم كيفية انتقاء الأصدقاء وحصر عددهم لما لذلك من انعكاس على سلوكهم فكل أسرة تتميز بهذا الحذر، وعدم التهور وترك الأبناء يصاحبون أيا كان. ثم تنخفض النسبة إلى 3.3% في تمارست وهذا يمثل خصوصية تلك الولاية حيث لاحظنا عند زهابنا للميدان تماسكا قويا بين الأفراد وتنظيما محكما للعلاقات الأسرية والاجتماعية يضبطها أعيان المنطقة (الرجال المسنين المعروفين

بوقارهم وعلمهم... ) الذين ينتمون إلى قبائل متعددة حيث تحدثنا مع البعض منهم خاصة في بلدية أمسل، أتاكور... فأكدوا لنا أن تنشئة الأبناء تركز على عدم إدخال رواسب أخرى غريبة حتى ولو كانت آتية من نفس المنطقة بدءاً من عامل الصحة نظراً لإدراكهم بتأثيراتها.

بينما تنخفض النسبة نسبياً بين 26.7% و 17.6% في وهران، الجلفة البلدية ويظهر ذلك أيضاً مدى إدراك الأولياء أهمية الصحة الصالحة كما جاء في تصريح أحد الأزواج "مكانوش والدينا يتركونا نخالط الصعاليك كانت الصرامة في ذلك، والصدق وعدم التسامح مع الكذب، احترام الكبير". ويقول آخر "علمونا كيفاه نختاروا لصحاب وتعاملوا بالإحسان مع الجيران والمجتمع".

بينما نلاحظ أن هنالك نسبة ضعيفة 5% في كل من الجزائر وبسكرة 4% ويرجع ذلك لتوزيع إجابة الباحثين بين الصنفين السابقتين من جهة، وكذا إلى إهمال بعض الأسر هذا الصنف وعدم أخذه بعين الاعتبار خاصة في الجزائر نظراً لكثرة سكانها وتعدد مشاربهم الثقافية نظراً للنزوح الريفي ومن المناطق الداخلية اتجاه العاصمة باعتبارها قطب كبير للمؤسسات الكبرى ومركزاً للتحضر.

وهكذا فإن الابن أو (البنات) يلتقيان يومياً بأصناف مختلفة من الأصدقاء ولا يستطيع حسبهم أوليائهما الضبط في علاقاتهم: في المدرسة، الشارع، في الملعب في السينما... أدت هذه المظاهر شيئاً فشيئاً إلى بعض الانحرافات في السلوك خاصة في المدن الكبرى لعدم إدراك هؤلاء الأزواج "الآباء" أن الاهتمام بالأبناء اليوم لا يقتصر على الصنفين إنما يسع أيضاً لعامل الصحة.

يلي الصنف الرابع "المتابعة المستمرة للأبناء والعقاب عند الخطأ، الصراحة والاعتذار عند الخطأ، المشاورة والعدالة بين الأبناء" بنسبة 9.41% وهو أيضاً صنف مهم جداً ظهرت فيه ولاية عنابة بأعلى نسبة 37.5%، ثم تنخفض النسبة قليلاً في تيزي وزو وباتنة بينما تتميز باقي الولايات بانخفاض معتبر إلى أن يصل إلى الجزائر بـ 7.5%. نلاحظ تركيز الباحثين في عنابة، تلمسان، الجلفة وغرداية خاصة في تربية أبنائهم على مثل هذا الصنف لأن حسبهم التوجيه والتربية لا يكفیان في سن معين، وهنا ندرك مدى وعي الأولياء في الماضي بأهمية

مسايرة وضرورة استمرارية التربية في جميع مراحل حياة الأبناء منذ الولادة إلى أن يصبحوا أزواجا صالحين ومخلصين لوطنهن.

هذا بالإضافة إلى استعمال العقاب الموضوعي عند الخطأ والاعتذار عند الخطأ، وهذا يدل على فطنة الأولياء ومراقبتهم لأولادهم عند وقوع الأخطاء وتصحيحها مباشرة وعدم التهاون أو التغاضي عنها. ندرك أيضا أن تكافؤ الزوجين في الماضي في نفس القواعد التنظيمية للسلوك الاجتماعي التي تمثل إحدى ميكانيزومات الضبط الاجتماعي (المتابعة المستمرة في التربية والعقاب عند الخطأ).

يلي الصنف الخامس " تربيتهم على طاعة الوالدين واحترام الكبير، التسامح، الأنفة، الكرم... " بنفس النسبة تقريبا مع الصنف السابق، حيث نجده أيضا في كل ولايات الوطن وهو يمثل مدى أهمية تثبيت الأولياء بقيم أخلاقية مستمدة من التوارث الثقافي أب عن جد. وهذا في الحقيقة يمثل أيضا تميز الوطن العربي بما فيه الجزائر بقيمة طاعة الوالدين لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية (الجزء لمن أحسن إليهما والعقاب في الدنيا والآخرة لمن أساء إليهما، حتى ولو كانا غير مسلمين) من خلال الآيات والأحاديث لا يسعنا حجم المقال لعرضها، وهذا يمثل قمة مكانة الوالدين في حياة الشخص ودورها خاصة الأم.

لقد وجدنا أعلى نسبة في هذا الصنف في باتنة بـ 28.6% ثم تيزي وزو وباقي الولايات ثم تنخفض النسبة في غرداية بـ 6.7%. إن هذا الانخفاض لا يعني عدم اهتمام هذه الولايات بهذا الصنف وإنما كان مضمون هذا الصنف مدمج مع الصنف الثاني " التربية على الصلاح والدين " ففيه ضمنا طاعة الوالدين.

كما كان التركيز أيضا على قيم أخرى مهمة عند تربيتهم في العلاقات الاجتماعية سواء داخل النسق القرابي أو خارجه في المحيط المفتوح كقولهم: " التربية على طاعة الوالدين والإيثار بدل الأنانية " ، " طاعة الأكبر سنا احترامه مهما يكن وعدم التلفظ بالألفاظ الدنيئة " ، " الرزانة، احترام الكبير وعدم التسرع في الكلام والاستماع للطرف الآخر قبل الكلام " ، " طاعة الوالدين، الشهامة وحب الوطن، الكرامة، مع احترام الكبير مهما كان مستواه " ، " تربيينا على النيف والاحترام وطاعة الوالدين " ، " الكرم، التقوى، الطهارة، طاعة الوالدين والخوف من دعوة الشر " .

يلبي الصنف السادس " تقليص حجم الخلافات بين الزوجين وعدم إظهارها للأبناء + الصرامة والخوف " ، وهو صنف نلمس منه قدرة إدراك بعض الأولياء في الماضي لدورهم، من خبراتهم وتجاربهم اليومية رغم ضعف مستواهم التعليمي وأحيانا رغم عدم تعلمهم إطلاقا للمحافظة على الجانب البيكولوجي المتوازن غير المضطرب للأبناء، الذي يساعدهم على الدراسة واستقرارهم النفسي والاجتماعي داخل الأسرة. وقد كانت أعلى نسبة في هذا الصنف بالبلدية 28.6%، ثم بسكرة فالجلفة فتيزي وزو، ثم تنخفض النسبة إلى أن تصل 5% في الجزائر، بينما تنعدم في باتنة ووهران وتلمسان.

أخيرا يلبي صنف "لم أترب سوى على المآسي" يكشف لنا هذا الصنف معاناة بعض الأزواج في طفولتهم ونفيمهم أي موقف إيجابي حصل من والديهم.

وقد كانت أعلى نسبة في باتنة 35.7% ثم مستغانم، ثم تنخفض النسبة في الولايات الأخرى بينما تنعدم في غرداية، الجلفة، قسنطينة وتيزي وزو أي أننا لم نجد حالات من المبحوثين في هذا الصنف.

إن المعاناة التي يذكرها الأزواج في طفولتهم لها أسباب متعددة تختلف من ظروف أسرية لأخرى، فهناك مثلا من ترجع لظروف الفقر المدقع كقول بعض المبحوثين: " تربية عند الجيران ، كانت أسرتي شديدة الفقر ولم أحس بحنان وتوجيه والدي " ، بينما تكررت لنا إجابات متقاربة المضمون تظهر تسلط الأب وديكتاتوريته وعدم تفهمه لسلوك ابنائه وتوجيههم كما جاء في تصريحات بعض المبحوثين: " كان أبي يضربني لأتفه الأسباب حتى إنني كنت أخافه وأتحاشاه ولا أحكي له ما يجول بخاطري " ، وهناك من عاش عند زوجة أبيه التي ذوقته أنواعا من المرارة: "عشت المرارة مع زوجة أبي" أو لقضاء وقدر ما توفي والديه وهو صغير كما قال لنا البعض: " لم أحس أبدا بطعم الوالدين تربية يتيما" . - إذا كان الأزواج قد ركزوا على مظاهر إيجابية متنوعة تربوا عليها في طفولتهم، تختلف من محيط ثقافي لآخر ومن مجموعات التربية لأخرى فإن هؤلاء الأزواج قاموا بدورهم على إيصال وغرس كل مظهر إيجابي في سلوك ابنه أو خصوصا وأنها لاحظنا أن هذه المظاهر التي تتجسد في أساليب معينة تستند مراجعها إلى القيم الدينية والأخلاقية وهذا بالإضافة إلى عادات وأعراف كل منطقة والخبرات والتجارب اليومية التي علمت الآباء في الماضي (كما يقول المثل الشعبي "هاتلي الفاهم آلاه لا



قرا") رغم ضعف مستواهم التعليمي أحيانا رغم عدم تعلمهم، المحافظة على الجانب النفسيولوجي المتوازن للطفل وتجنب كل ما يجعله مضطربا يجمع بين الحنان والصرامة والاستمرارية والرقابة، وانتقاء الأصدقاء... وتعلم قيم اجتماعية أخلاقية ودينية. حالات قليلة ترى أن الصرامة والخوف + الحنان تعتبر أيضا أحد الأساليب الناجحة.

وللتعمق أكثر في فهم دور متغير الجنس واستنتاج مدى التكافؤ أو التكامل بين الأزواج والزوجات في عملية تربية أبنائهم في الوقت أم أن هناك تناقض وتصادم بين ما تربي عليه الأزواج والزوجات في طفولتهم التي تصب كلها في عامل التواصل التربوي أو القطيعة. فقمنا بطرح نفس السؤال على عينة الزوجات

ونلخص ما تحصلنا عليه من معطيات في الميدان في النقاط التالية:

❖ أن طبيعة الأساليب التي تربي عليها الأزواج وزوجاتهم في طفولتهم ساعدت على تكافؤهم مع بعض في مقاييس معينة كحملهم نفس ثقافة المحيط والأفكار والأهداف، نفس التصور لتحمل مسؤولية الأولاد وفقا لقيم ومعان أخلاقية واجتماعية مستمدة من المرجعية الدينية وكذا من أعراف وعادات المنطقة التي ينتمي غليها الزوجان.

❖ إن انتماء الزوجين إلى نفس المنطقة يقوي نسبة التكافؤ بينهما الذي ينعكس على توحيد الرؤى والمعايير التي تتجسد في السلوك الاجتماعي للأبناء، فنجد شبه تماثل واتفاق على ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الأبناء (أو بصفة عامة الأفراد) وما هو مرفوض وما لا ينبغي أن يكون، وفقا للأعراف وأصول المجموعات الأسرية هذا من جهة ومن جهة أخرى وجدنا أنه رغم اختلاف انتماء الزوجين إلى نفس المنطقة فإنهما يستندان في كل مظاهر حياتهما اليومية على مرجعية واحدة تعاليم الإسلام وقيمه الإنسانية.

❖ إن المظاهر الإيجابية التي تربت عليها الزوجات في صغرهن هي نفسها مع جنس الأزواج عكس ما كنا نتوقع. نجد صنفين: " الترويض على الصدق في كل شيء، تحمل الأخطاء والحوار... " و " احترام الكبير حتى لو كان ظالما، الاستقامة وعدم التعصب في الدين، العفة والشرف "، إلا أنه يظهر اختلاف طفيف في التربية هو تأكيدهن في كل المناطق

على الاحتشام في لباس البنات والمحافظة على الشرف، خاصة منطقة تمراس، تلمسان، غرداية، قسنطينة، تيزي وزو، الجلفة...

❖ ظهر صنف مميز تربت عليه الزوجات لم نجده في تصنيفات الأزواج، يتمثل في " تحمل المسؤولية والتفاني في خدمة الآخرين، الصبر، التسامح وعدم الانتكال"، وظهر هذا الصنف بأعلى نسبة 28% من المجموع الكلي مقارنة بالأصناف الأخرى نجده يجمع بين القيم الدينية والثقافية والتقليدية التي تلقن المرأة دورها في بيتها اتجاه زوجها وأولادها وأقارب زوجها من طاعة الزوج والتفاني في خدمة الأسرة وحسن المعاملة، وتحمل الصعاب والتسامح...، فإذا قارناها اليوم مع النساء المعاصرات اللواتي لم تتربن على هذه القيم لوجدنا بنية أسرهن تتميز بالهشاشة التي لا تصمد طويلا ويكون ماها ألا استقرار والتفكك لأنها تبنت قيم العصرنة السلبية كالفردية، والاستقلالية والترقق وعدم التفاني في خدمة الآخرين، بينما إذا كان العكس خدمة الآخرين طاعة أيضا والذي الزوجة وعدم الترفع عنهما فإن ذلك قاعدة الاستقرار الأسري وقد أجمعت مختلف المبحوثين من مختلف المناطق بقولهن: "التفاني في خدمة أفراد الأسرة وتحمل الصعاب، وطاعة الزوج"، "التسامح وعدم الأنانية والآداب العامة مع أفراد الأسرة القريبة أو البعيدة"، "حب الآخرين، النية، اللي جاز على كلمة جاز على روح".

❖ نجد صنف ثاني مميز أيضا لم يظهر عند الأزواج تربت عليه الزوجات "الحب، توفير كل الحاجات الضرورية التي يحتاجها الأبناء+القناعة+الصرامة والشدّة" وهو أسلوب ناجح أيضا في تربية الأطفال كقول إحدهن: "تربينا في العز والأنفة، الحنان وعدم العنف وهذا الصنف يمثل تكامل الزوجين في التوجيه التربوي الذي يجمع بين حب الأم ولأبنائها وحثها الأب لعدم الحرمان أبنائهم من توفير الحاجيات المادية لأن الحرمان ينعكس سلبا على سلوكهم وفي نفس الوقت حسب ما قيل لنا عدم تعويد الطفل على إعطائه الدراهم بل تشتري له بنفسها كل ما يلزمه لأنه إذا حدث العكس سينقلب الابن على والديه ويلجأ للسرقة.

❖ أما الصنف الآخر وهو أيضا أسلوب مميز في التربية: مصاحبة الأم ابتها+حب العلم رغم المخاطر. أي جعل الأم كصديقة تحكي لها البنت كل شيء مع توجيهها في كل

مرة خاصة في المراهقة وفي نفس الوقت تلقنها التدابير المنزلية وعلى حدّ قولهن "جعل الأم كالأخت أو الصديقة، إعطاءنا الحرية مع التوجيه لم نحس أبداً بالنقص"، كما أبدت مبحوثات أخريات أسلوباً آخر يضاف إلى مصاحبة الأم وهو التحفيز على طلب العلم رغم المخاطر خاصة في وقتنا هذا "أريد أن يواصلن الدراسة، لا كما حصل لي بسبب الإرهاب أوقفوني لأنهم يخطفون البنات"، وتضيف أخرى "من أبي العلم والتشجيع على الثقافة، ومن أمي التنظيم والصحة وسلوكات أخرى داخل البيت" معنى ذلك التكامل الموجود بين والديها.

❖ وهو صنف يظهر الجانب السلبي في طفولة بعض الزوجات "لم آخذ شيئاً من والدي إلاّ الحسرة" وهو ما وجدناه أيضاً عند بعض الأزواج وقد تعددت الأسباب حسب المحيط الأسري لكل منهن. فمنهن من ترى أنه لم يكن هناك استقرار لأسرتها بسبب الخلافات الأسرية المستمرة بين والديها لعدم تكافئهما، وأخرى لم تجد الحنان، وأخرى لم تجد الحنان بسبب الطلاق...

❖ أخيراً وجدنا صنف "لم أستطيع تربية أبنائي لأنهم غلبوني" وهذا عند فئة قليلة من الزوجات أعلنت صراحة فشلها في الأداء التربوي.

## 7. المراجع:

- 1- عزي عبد الرحمن (2003) نحو فكر إعلامي متميز، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ص115.
- 2- محمد علي محمد (1983) علم الاجتماع والمنهج العلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص855
3. Albert Bandura, social learning Theory in <http://www.afirstlook.com> .
4. Franco Ferrarotti (1988) The end of conversation: The impact of Mass Media on modern society, Contributions in sociology, N°71, New York: Green wood Press.
5. Malvin L.de Fleur & Sandra Ball (1982) Rokeach Theories of Mass-communication, 4<sup>th</sup>ed, New York : Longman, pp 200-215